ان المرء يستطيع أن يجد في الفكر الصهيوني احتذاء لجميع أشكال الفكر الاستعماري ومراحله . اما من الناحية العملية فقد كان هناك ارتباط مستمر بين الحركة الصهيونية والدول الاستعمارية ، وقد جرب هرتزل زعيم الصهيونية الاول حظه مع المانيا القيصرية ثم مع بريطانيا وكان يأمل الحصول على (موافقة رسمية تختصر طرقا طويلة) . واخيرا استطاع عقد صفقة مع بريطانيا قبل نشوب الحرب العالمية الاولى ، وما أن أوشكت هذه الحرب أن تضع أوزارها (٢٠ تشرين الثاني ١٩١٧) حتى كانت الصهيونية بقيادة خليفته حاييم وايزمن قد استطاعت أن تحصل على أول وثيقة دولية استعمارية تؤيد ادعاءات (الوطن القومي اليهودي) وهي تصريح بلفور . وبصرف النظر عن المغالطات التاريخية والقانونية التي بنيت عليها هذه الوثيقة فقد استطاع الصهيونيون بتأييد الدول الاستعمارية — ادخال هذه الوثيقة في صك الانتداب البريطاني على فلسطين الذي أقرته (عصبة الامم) وكذلك جعلوه أساسا للحكم البريطاني لفلسطين ، وقد التزمت به الادارة الاستعمارية وبعد حوالي ثلاثين سنة من التهيئة والاعداد استطاعت بريطانيا أن تسلم فلسطين للاجهزة الصهيونية التي كانت تمثل دولة ضمن دولة في حين أن عرب فلسطين لم يسمح لهم بممارسة أي نوع من أنواع النشاط السياسي تحت ظل الانتداب .

وفي الوقت نفسه كان مركز الثقل الامبريالي في العالم قد انتقل الى الولايات المتحدة الاميركية وكان طبيعيا أن ينتقل كذلك مركز ثقل التحالف الصهيوني الامبريالي الى واشنطن بدلا من لندن ، وذلك دون أن تنقطع الصلات بالمراكز الامبريالية الاخرى . وخلال ربع القرن الماضي تدفقت سيول الاسلحة والمساعدات على اسرائيل من مختلف الدول الامبريالية . وقد بلغ مجموع المساعدات والهبات والقروض التي تلقتها اسرائيل منذ نشوئها حتى عام ١٩٧٣ حوالي ١١ مليار دولار(٢٣)، وهي تتلقى بانتظام من الولايات المتحدة الاميركية وحدها ما يقارب (٥٠٠) مليون دولار سنويا . وبالمقابل تقوم اسرائيل بخدمات جلى للامبريالية ، فهي تشكل موقعا أماميا للاستعمار و (حاملة طائرات لا تغرق) كما قال وزير دفاع اميركي سابق ، وهي تشكل تهديدا مستمرا للحركة الثورية العربية وللشعب العربي المتطلع للخلاص من نير الاستعمار ، وتشكل كذلك حاجزا ضد الحركات التقدمية في المنطقة ، وتشكل ايضا عائقا للتطور الاجتماعي في المنطقة العربية، كما تحاول ان تكون مركزا للاحتكارات الاميركية وجسرا يمتد منه النفوذ الامبريالي الاقتصادي والسياسي الى سائر نحاء آسيه وافريقيه .

ازاء هذا الواقع هل يمكن أن تكون اسرائيل مع السلام ؟ أليس السلام يتنافى تنافيا تاما مع مهمتها الامبريالية ؟ أوليست الامبريالية هي التي تجعل منها قاعدة للعدوان ومستودعا ضخما للاسلحة ؟ أوليست المغامرات العدوانية جزءا لا يتجزأ من الوجود الاسرائيلي . لقد كان هذا بالضبط ما عناه البلاغ الرسمي السوفياتي الذي أذيع يوم اندلاع الحرب في ٥ حزيران ١٩٦٧ : « وهكذا اندلع لهيب القتال في الشرق الاوسط ، بسبب السياسة المغامرة لبلد واحد وهو اسرائيل التي تشجعها الاعمال السرية والعلنية لاوساط أمبريالية معينة . وقد دفع الى هذه الاعمال الخطرة زعماء اسرائيل الذين يزعمون دائما انهم يقاتلون من أجل وجود اسرائيل كدولة . على ان القادر على نسف أسس تطور وجود اسرائيل نفسها هو بالذات سياسة التهور والمغامرة التي تتبعها اليوم الاوساط الحاكمة فيها »(٢٤).

وليس المقصود من ايراد هذا النص هو التأكيد على ادانة الاتحاد السوفياتي للعدوان الاسرائيلي كما يتبادر الى الذهن للوهلة الاولى . فهذه الادانة تشكل جزءا لا يتجزأ من السياسة الرسمية المعلنة للدولة السوفياتية والمعسكر الاشتراكي وانما المقصود هنا